الصفويون السُنَّة

دراسة تاريخية في الجذور السنية للدولة الصفوية في إيران

دكتور/ راكان ذعار المطيري
قسم الدراسات الاجتماعية
كلية التربية الأساسية
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

المقدمة

إن البحث في تاريخ المشرق الإسلامي بشكل عام، وتاريخ إيران بشكل خاص من الأهمية بمكان؛ ذلك لأن هناك الكثير من الإشكالات في هذا التاريخ مازالت في حاجة إلى معالجة وبحث، خاصة وأن كثير من الباحثين سلطوا الضوء على القضايا العامة دون البحث في القضايا الجزئية المثيرة للبحث والتقصي.

إن تاريخ الأسرة الصفوية –بشكل عام– تاريخ بالغ الأهمية، وتعود أهميته إلى أن الأحداث التي صاحبت تاريخ هذه الأسرة منذ نشأتها وتأسيسها للدولة ما زال صداها يتردد إلى يومنا هذا على واقع الصعيدين العربي والإسلامي،وبخاصة حقيقية ما قام به الصفويون في إيران من إرغام الناس بشكل أو بأخر على التحول من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، لتصبح إيران منذ ذلك الوقت وحتى الآن دولة شيعية الهوى بعد أن كانت من أهم دول العالم السني.

بالنظر فيما كتب عن الأسرة الصفوية وتاريخها، يجد الباحث أن الاهتمام والتركيز انصب في الغالب على تاريخ هذه الأسرة بعد أن أصبحت دولة، في حين لم يعطى نفس هذا القدر من الاهتمام لدراسة الأسرة الصفوية قبل أن تتحول من إطارها الصفوي إلى شكلها العسكري، وتتغير طبيعتها المذهبية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي.

في هذا السياق تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على تتبع الجذور التاريخية الأولى لنشأة الأسرة الصفوية في إيران؛ في محاوله لتأكيد حقيقة الجانب السني في تاريخ هذه الأسرة، وأن التشيع لم يكن أصيلا فيها، إنما هو أمر عارض كما تخلص إليها هذه الدراسة.

تبدأ هذه الدراسة بالحديث عن الإطار المكاني لها، وتوضيح المقصود بكلمة إيران الموجودة في عنوان الدراسة، كذلك الحديث عن الأوضاع السياسية في إيران في الفترة التاريخية التي عالجتها الدراسة؛ وذلك لأهمية السياق التاريخي في مسيرة الأسرة الصفوية، وفي مسيرة التصوف في إيران كلها في ذلك الوقت، فعرضت بإيجاز لأهم الأسرات الحاكمة في تلك الفترة.

لقد حاولت الدراسة تتبع جذور الأسرة منذ ظهورها الباكر في إيران ودور شيوخها في هذه الفترة المبكرة في الدعوة والإرشاد، وذلك للتأكيد على الطابع السني لهم، وعلى انشغالهم بالدور الدعوي في هذا التاريخ الباكر.

القضية الأخرى التي اشتملت عليها الدراسة هي الحديث عن صفي الدين الأردبيلي، وتبلور الطريقة الصوفية السنية في عهده، واشتملت على الحديث عن نشأته، وانخراطه ضمن مريدي الشيخ زاهد الجيلاني، ثم توليه إرشاد الطريقة، كذلك تحدثت عن اعتقاد رجال السياسة وكبار القادة فيه، ثم عن حقيقة ما يذكره الباحثون من اعتقاد الرجل في المذهب الشيعي، حيث توضح الدراسة حقيقة خطأ ذلك الاعتقاد بالأدلة التاريخية.

تتبع الدراسة بعد ذلك مشايخ الطريقة من أبناء الشيخ صفي الدين الأردبيلي، فتحدثت عن ابنه الشيخ صدر الدين موسى الذي تولى الإرشاد بعده، ودوره في تأكيد الطابع السني للطريقة، ثم عن خواجه علي بن صدر الدين، وعن الجدل المذهبي الذي دار حول تحوله للمذهب الشيعي، وفي هذا تبين الدراسة خطأ هذا الرأي وفقا لما كُتب عن الرجل في المصادر التاريخية. ثم تحدثت عن ابنه الشيخ إبراهيم آخر الشيوخ السنة للطريقة الصفوية.

بعد ذلك تتطرق الدراسة بإيجاز عن تحول الطريقة الصفوية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي بعد أن تولى السلطان جنيد بن الشيخ شاه إرشاد الطريقة ليتحول من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، وليغير فكر الطريقة ونهجها من طريقة صوفية إلى فرقة عسكرية، ذلك النهج الذي أكمله ابنه حيدر بعد ذلك، وتُوج في النهاية بقيام الدولة على يد الشاه إسماعيل الصفوي.

أخيراُ، تأتي الخاتمة لتعرض أهم النتائج والاستنتاجات التي اشتملت عليها هذه الدراسة، مراعيةُ الالتزام بالنصوص التاريخية والبعد عن أية نوازع مذهبية أو ميول عقائدية.

الإطار المكاني للدراسة

الإطار المكاني لهذه الدراسة كما حدده عنوانها هو إيران، لكن اختيار هذا الاسم دون بلاد فارس يثير تساؤلا مؤداه: هل كان هذا الاسم مستخدما في الفترة التاريخية للدراسة بحيث يكون اختياره صحيحا من الناحية العلمية؟ وإذا كان مستخدما فهل المقصود بإيران الدولة الحالية بذات الحدود الجغرافية أم أنها كانت تضيق أو تتسع عن تلك الحدود؟

يُعرِّف ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) إيران بقوله: إيران شهر: هي بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان يجمعها كلها هذا الاسم، والفرس تقول إيران اسم أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وشهر بلغتهم تعني البلد، فكأنه اسم مركب معناه: بلاد أرفخشد(١).

كذلك استخدم المؤرخ " أبو الفداء ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م" اسم إيران في تعبيره عن هذا الإقليم في قوله: "أمة الفرس مساكنهم وسط المعمور، ويقال لها أرض فارس، ومنها كرمان والأهواز وأقاليم يطول ذكرها، وجميع ما دون جيحون من تلك الجهات يقال له إيران، وهي أرض الفرس، وأما ما وراء جيحون فيقال له **توران**، وهي أرض الترك"(٢).

في هذا السياق أيضا، يقول المؤرخ الدمشقي ابن عربشاه (ت ٨٥٤ هـ/١٤٥٠م): "وفي عُرفهم ما وراء النهر إلى جهة الشرق **توران**، وما كان في هذا الطرف إلى جهة الغرب إيران"(٣).

هذه النصوص ــ وبعضها لمؤرخين معاصرين لفترة البحث ــ تؤكد أن مصطلح "إيران " كان شائعا ومستخدما في هذه الفترة باعتباره يدل على المنطقة التي يسكنها الفرس، مما يؤكد أن هذه التسمية رغم إقرارها بصورة رسمية في عام ١٩٣٥م فإنها تسمية قديمة وشائعة في الفترة الزمنية للدراسة.(٤)

---

(١) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م، ٢٨٩/١.

(٢) المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، مكتبة المتنبي، القاهرة، ٨٢،٨٣/١.

(٣) عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٦م، ص ٦٤.

(٤) Kenneth M. Pollack. Persian Puzzle: The conflict between Iran and America. Randam House, Inc, ٢٠٠٥. P. ٣٨.

أما حدود إيران الكبرى كما يحددها بعض المستشرقين فهي تشمل " غالبية القوقاز وأفغانستان وباكستان وأسيا الوسطى، وأن تأثيرها الثقافي امتد الى الصين وغرب الهند." بل وبأن " إيران تعني كل الاراضي والشعوب التي استخدمت اللغات الايرانية ولا تزال"(١).

أما اسم بلاد فارس فإنه أطلق عليها من قبيل إطلاق الجزء على الكل، ففارس هو أحد أقاليم إيران، لكن لأنه كان موطنا للدولة الإكمينية التي حكمت إيران في القرن الخامس قبل الميلاد فصار علما على دولتهم، غير أنه لم يعد مستخدما منذ أن صار اسم الدولة (إيران) في العصر الحديث. (٢)

(١) Frye, Richard Nelson, Greater Iran. Xi. P ISBN ١-٥٦٨٥٩-١٧٧-٢.

(٢) للمزيد عن تسمية وجغرافية إيران أنظـر: Ahmad Ashraf. Iranian Identity. ii. Pre-Islamic Period. ٢٠١١. Also, W.W Malandra. Encyclopaedia Iranica: Zoroaster ii. General Survey.

الأوضاع السياسية في إيران في فترة الدراسة

شهدت الفترة التاريخية التي عاشت فيها الأسرة الصفوية في طورها السني في إيران تنوعًا سياسيًا ملحوظًا؛ فقد شهدت إيران في تلك الفترة انقسامًا سياسيًا أدى إلى تفتت أقاليمها وتفرق أمصارها تحت حكم عدد من الأسرات والحكومات، كما شهدت أيضًا موجة جديدة من الغزو الخارجي تمثل في حروب تيمورلنك المتتالية على إيران، والتي نتج عنها في النهاية أن أصبحت إيران جزءًا مهمًا من إمبراطوريته الواسعة.

إن حقيقة الحديث عن الحالة السياسية التي سادت في إيران في تلك الفترة والتي لا يمكن اختزالها في عدد قليل من الصفحات؛ تفرض أن يكون الحديث في هذه الدراسة مقتصراً على أهم ما يمكن أن يقال بشأن أبرز الأحداث التي كان لها أكبر الأثر في مسيرة التصوف الإسلامي في إيران بشكل عام، وفي مسيرة الأسرة الصفوية بشكل خاص.

أولًا- الإيلخان أبو سعيد ونهاية حكم المغول الإيلخانيين[1] في إيران:

استطاع المغول أن يقيموا دولة قوية في إيران والعراق بعد سقوط الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م والتي استمرت ما يقارب قرنا من الزمان، كانت خلالها الدولة قوية وقادرة على ضبط أحوال إيران حتى وفاة أبي سعيد بهادرخان والذي تولى عرش السلطنة في إيران عام ٧١٧هـ/١٣١٧م، وحكم حوالي عشرين عاما، استطاع خلالها ضبط أمور الدولة؛ وذلك لما أتصف به من- كما تصفه المصادر التاريخية-بالعقل والعدل والتدين.أضف إلى ذلك الجهود التي قام بها وزيره الأشهر "رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت٧١٨هـ/١٣١٧م)، وابنه من بعده الوزير "غياث الدين محمد بن رشيد الدين (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) [2].

لكن حدث أن توفي أبو سعيد بصورة مفاجئة عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م ولم يكن له أبناء يرثون حكم الدولة من بعده. أضف الى ذلك حقيقة أنه لم يكن من نسل هولاكو

(١) كلمة إيلخان كلمة فارسية تعني: سيد القبيلة، وهي لقب للحكام المغول الذين حكموا إيران بعد سقوط الدولة العباسية. انظر ترجمتها: عبد النعيم حسانين، قاموس الفارسية، دار الكتاب المصري (القاهرة)، ودار الكتاب اللبناني (بيروت)، سنة ١٩٨٢، ص٢١٣.

(٢) انظر ترجمة أبي سعيد: حافظ آبرو، ذيل جامع التواريخ رشيدي، باهتمام: خانبابا بيانى، سلسله انتشارات انجمن آثار ملى، جاب دوم، تهران سنه ١٣٨٠ هـ. ش، ص١٢٠، ١٢٣. وانظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت سنة ١٩٩٣م، ٢١٢/٣، ٢١٣.

–مؤسس دولة الإيلخانيين– من يستطيع القبض على زمام الأمور بيد قوية في ذلك الوقت(١).

والحقيقة أن موت أبي سعيد يعد نهاية فعلية للدولة الإيلخانية في إيران، وذلك على الرغم من أن عددًا من الأمراء المنتسبين إلى المغول تعاقبوا على عرش الدولة بعد وفاته، وذلك حتى عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، لكن الواقع يؤكد أنه لم تكن ثمة دولة في ذلك الوقت؛ حيث استغل كثير من الأمراء المغامرين وفاته، وأعلنوا استقلالهم بأقاليم الدولة.و بذلك تحولت الدولة الإيرانية الموحدة إلى عدة دويلات صغيرة تتصارع فيما بينها على مناطق النفوذ، فضلًا عن أن كثير من هؤلاء الأمراء لم يكونوا حكامًا بالمعنى الحقيقي، وإنما كانوا أداة يتلاعب بها كبار القادة والأمراء لتحقيق السيطرة وبسط النفوذ على أقاليم الدولة(٢).

وفي هذا السياقي عبر القلقشندي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٨م) عن اضمحلال الدولة الإيلخانية وانتهائها بعد وفاة أبي سعيد، بقوله: "ثم هم بعده في دهماء مظلمة، وعمياء مقتمة، لا يفضي ليلهم إلى صباح، ولا فرقتهم إلى اجتماع، ولا فسادهم إلى صلاح، في كل ناحية هاتف يدعي باسمه، وخائف أخذ جانبا إلى قَسْمه، وكل طائفة تتغلب وتقيم قائما تقول هو من أبناء القان، وتنسبه إلى فلان، ثم يضمحل أمره عن قريب، ولا تلحق دعوته حتى يُدعى فلا يجيب"(٣).

ثانيًا: أهم الأسرات التي حكمت إيران في فترة الدراسة:

تقاسم أراضي إيران بعد سقوط الإيلخانيين عدد من الأسرات الحاكمة التي سيطرت كل واحدة منها على عدد من الأقاليم، وأسست فيه حكما مستقلًا يتوارثه

(١) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م – ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م). نقله من الفارسية: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٩٨٩م، ص٤٦٩.

(٢)تصفهم الدراسات الإنجليزية بـ الإيلخانيين الدُمى أنظر:(The Pupet IL-khans)

Lieut.-Col. , p.M. Sykes, A History Of Persia, London ١٩١٥, P١٩٤.

E.van Donz, B. lewis and CH. pellat, Iran, The Encyclopaedia of Islam, New Edition Leden, ١٩٩٧, Vol: Iv, P: ٣٢.

(٣) صبح الأعشى، قدم لهذه الطبعة: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر سنة ٢٠٠٥م، ٤/٤٢٠، ٤٢١.

أبناؤها، وبذلك تحولت إيران من دولة موحدة قوية إلى عدة دويلات صغيرة تتصارع فيما بينها على مناطق السيطرة والتفوق[١].

أولى هذه الدويلات ظهورًا في غرب إيران هي الدولة الجلائرية، ويعود اسمها إلى قبيلة "جلائر" أو "جلاير"، وهي إحدى قبائل المغول الشهيرة[٢]، وقد وفدت إلى إيران في جيش هولاكو، وشاركت معه في الحروب التي خاضها، ثم دخلت في خدمة أبنائه من بعده، وارتبطت برباط المصاهرة مع الإيلخانيين[٣].

وأول من حكم من هذه الأسرة هو الشيخ حسن بزرگ (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، الذي يصف حكمه أبن حجر بالقول "وقام بالملك أحسن قيام ونشر العدل"[٤]. بعد وفاته، توارث أبناؤه الحكم، فحكم ابنه معز الدين أويس (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، ثم حسين بن معز الدين (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م) [٥]، حيث تميزت فترة حكمهما باستقرار أحوال الدولة وتوسع حدودها.[٦] الا أن هذا الامر تغير بمجيء السلطان أحمد الجلائري (ت٨١٣هـ/١٤١٠م) إلى الحكم حيث ساءت أمور الدولة؛ وذلك لما اتصف به ،كما تصفه المصادر، من الظلم وسفك الدماء وسوء التدبير، أو بتعبير المؤرخ الكبير المقريزي "أحد مشائيم الدولة"[٧].

وقد واكبت فترة حكم السلطان أحمد الجلائري قدوم جيوش تيمورلنك إلى إيران بغية الاستيلاء عليها، مما اضطره للهروب والاحتماء بالمماليك في مصر، حتى انتهى أمره في النهاية إلى القتل عام ٨١٣هـ/١٤١٠م[٨]. على يد القائد التركماني "قرا يوسف" الذي استولى على أملاك الجلائريين، وأقام دولة جديدة عليها[٩].

---

(١) للمزيد عن دولة الايلخانيين أنظر: فؤاد عبدالمعطي صياد. الشرق الاسلامي في عهد الايلخانيين (اسرة هولاكوخان). منشورات مركز الوثائق الانسانية. جامعة قطر–الدوحة. ١٤٠٧–١٩٨٧.

(٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، العراق، سنة ١٩٣٩م، ٢/٢٤.

(٣) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٥٥٤.

(٤)ابن حجر: الدرر الكامنة، ١٤/٢.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: شعبان طرطور، الدولة الجلائرية، دار الهداية. مصر، سنة ١٩٨٧م، الصفحات من ٣٤ إلى ٣٨.

(٦) البدليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، سنة ١٩٦٢م، ٤٨/٢. وانظر: شعبان طرطور، المرجع السابق، ص٢٦.

(٧) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي؛ بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ٢٣٥/١.

(٨) المقريزي، درر العقود الفريدة، ٢٤٣/١.

(٩) سيرد التعريف به وبدولته في الصفحات القادمة.

شهدت فترة الدراسة أيضًا قيام دولة أخرى عرفت باسم الدولة المظفرية، وقد حكمت في المناطق الجنوبية من إيران، وتحديدا في فارس وكرمان ويزد وأصفهان، وترجع أصول هذه الأسرة إلى العرب الذين جاءوا زمن الفتوحات الإسلامية، واستقروا في خراسان(١). وقد اتصلت هذه الأسرة بالإيلخانيين، ونالوا ثقة حكامها، حيث تولى الأمير مظفر الدين –وإليه تنسب الدولة– قيادة جزء من الجيش الإيلخاني وكان موضع ثقة الدولة والأمراء في ذلك الوقت(٢).وقد تُرجمت هذه الثقة في قيام الإيلخان أبي سعيد بتفويض الأمير مبارز الدين محمد بن الأمير مظفر الدين (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٤م) في حكم يزد سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م(٣)، حيث استغل الأمير مبارز الدين الفوضى التي أعقبت موت أبي سعيد، وقام بالاستيلاء على كرمان وفارس وأصفهان(٤)، وليسيطر بذلك على الأجزاء الجنوبية من إيران.

أعقب الأمير مبارز الدين في الحكم ابنه شاه شجاع (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٣م)، وكان متصفا بالعدل والعلم وحب العلماء، حيث استطاع أن يضبط أمور الدولة، وأن يقضي على الفتن والثورات التي اندلعت فيها(٥). الا انه وبعد موته تنازع أمراء الدولة المظفرية على الحكم، ودخلوا في صراع مع جيوش تيمورلنك، حيث انتهى أمرهم في النهاية على يد تيمورلنك الذي أمر بقتل جميع أمراء الدولة وذلك في رجب سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣،واستولى بعد ذلك على كافة الأقاليم التي كانت تحت حكمهم(٦).

أما في الشمال الشرقي لإيران، وتحديدا في إقليم خراسان فقد حكمت بعد موت أبي سعيد دولة أخرى عُرفت بإسم الدولة السربدارية، وهي تختلف عن الدول التى سبق ذكرها في مذهبها العقائدي؛ فقد كانت هذه الدولة شيعية المذهب، خلاف الدول الاخرى التي كانت تعتنق المذهب السني.

---

(١) للمزيدانظر محمود كتبي، تاريخ آل مظفر، به اهتمام: عبد الحسين نوائي، مؤسسه انتشارات امير كبير، چاپ دوم ، تهران، سنه ١٣٦٤ هـ. ش، ص٣٠.

(٢) البدليسي، شرفنامه، ١٨/٢.

(٣) خواندمير، حبيب السير في أخبار البشر، زير نظر: محمد دبير سياقى، انتشارات كتابخانه خيام، چاپ چهارم ، تهران سنه ١٣٨٠هـ. ش، ٢٧٤/٣.

(٤) البدليسي، شرفنامه، ٤٠/٢. وانظر: محمود كتبى، تاريخ آل مظفر، ص٦٠.

(٥)محمود كتبى، تاريخ آل مظفر، ص ٨٣.توفيق، زرار صديق، كردستان في القرن الثامن هجري–دراسة في تاريخها السياسي والاقتصادي. مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر. ٢٠٠١.ص ١٠٥.

(٦) محمود كتبي، تاريخ آل مظفر، ص١٣٦. وانظر: البدليسي، شرفنامه، ٦٥/٢.

قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الإيلخانية، فقد استغل مؤسسها "عبد الرازق بن شهاب الدين فضل الله الباشتيني (ت ٧٣٨هـ/١٣٤٤م)" موت أبي سعيد، فأعلن الثورة على الدولة في خراسان، وتحديدًا في مدينة "سبزوار"، وقد ساعدته الظروف السياسية في ذلك الوقت في الاستيلاء على المدينة عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، حيث ضربت السكة باسمه(١).

وقد أعقبه أخوه "وجيه الدين مسعود (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م) في حكم الدولة، واستطاع في سنوات حكمه أن يوسع أملاك دولته فدخلت عدة مدن كبرى في إقليم خراسان مثل سرخس، وزاوه، وطوس في أملاك الدولة السربدارية(٢).

تولى بعده أمراء ضعاف لم يستطيعوا السيطرة على مقاليد الحكم، لكن مع تولي "علي شمس الدين (ت ٧٥٣هـ/١٣٥٢م) عادت للدولة هيبتها، فقد كان ــ كما تصفه المصادر ــ رجلا كيسا فطنا ذا فراسة وشجاعة، ولم يكن له نظير في إدارة شئون الدولة(٣). الا ان الامر لم يدم طويلا حيث ساءت بعده أمور الدولة السربدارية واستمرت كذلك حتى عام ٧٦٦هـ/١٣٦٥م وهو العام الذي تولى فيه خواجه علي المؤيد حكم الدولة، وقرئت الخطبة باسمه على منابر البلاد(٤)، فأعاد هذا الحاكم للدولة هيبتها، حيث اتسم حكمه بالاستقرار والأمن، واتساع رقعة الدولة،وقد ساعده على ذلك طول فترة حكمة التي امتدت ما يقارب ٢٢ عاما، حيث توفى في عام ٧٨٨هـ/١٣٨٧م(٥). الا أنه وفي نهاية فترة حكمه أعلن تبعيته للدولة التيمورية التي اجتاحت جيوشها إيران، وظل معلنا ذلك حتى وفاته، حيث دخلت أملاك الدولة بعد ذلك في دولة التيموريين الجديدة، ولتنتهي بذلك دولة كان لها طبيعة سياسية ومذهبية تختلف عن سابقتها من الدول والأسرات.

---

(١) أماني رجب أحمد، دولة السربداريين في خراسان (٧٣١ – ٧٨٢هـ/١٣٣٠م–١٣٨٠م)، مع ترجمة كتاب "نهضت سربداران خراسان" تأليف: بطروشفسكي، ترجمه عن الفارسية: كريم كشاورز، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠١م، لم تنشر، ص٢٨.

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، المغرب، سنة ١٩٩٧م، ٤٨/٢.

(٣) ميراخواند، تاريخ روضة الصفا، في مسيرة الأنبياء والملوك والخلفا، تصحيح: جمشيد كيان فر، ناشر: اساطير، تهران، سنه ١٣٨٠ هـ.ش، ٤٥١٦/٨. وانظر أماني رجب أحمد، دولة السربداريين في خراسان، ص٧٣.

(٤) دولتشاه السمرقندي، تذكرة الشعراء، به اهتمام: ادوارد براون، ناشر: اساطير، تهران سنة ١٣٨٢ هـ.ش، ص٢٨٦.

(٥) المصدر السابق، ص٢٨٨.

ثالثًا ــ قيام الدولة التيمورية في إيران:

اجتاحت جيوش تيمورلنك إيران وبلدان العالم الإسلامي في نهاية الربع الأخير من القرن الثامن الهجري، وكانت هجمة مدمرة لا تقل في تأثيرها عن نظيرتها أيام جنكيز خان، وقد وضعت انتصارات تيمورلنك في إيران نهاية لحكم الأسرات التي حكمت أقاليمها منذ وفاة أبي سعيد الإيلخاني، وتمكنت بذلك من توحيد إيران تحت حكم واحد، وهو حكم التيموريين.

إلا أن هذه الوحدة السياسية لم تدم طويلا، فلم يكد يمر بضعة أعوام على وفاة تيمورلنك حتى فقدت الدولة الجزء الغربي منها، وتحديدا إقليم أذربيجان، حيث خضع لنفوذ "قرا يوسف" زعيم القبيلة التركمانية المعروفة في التاريخ باسم "القراقويونلو"، وذلك في عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م(١).

تولى الحكم من أبناء تيمور بعد وفاته، ابنه شاهرخ الذي يصفه بعض المؤرخين بأنه من أحد أفضل الحكام الذين حكموا إيران، وذلك لاتصافه بالعدل، وحب العلم، وتشجيع الفنون والمسالمة(٢)، فلم يجيش الجيوش كأبيه تيمورلنك لشن هجمات توسعيه مدمره، بل على العكس من ذلك سعى الى إعمار بعض البلاد التي خربتها غزوات أبيه.فيذكر على سبيل المثال أنه قام بترميم وإصلاح قلاع مدينة هراة، ومرو(٣). استمر شاهرخ في الحكم حتى وفاته سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٧م، حيث استطاع خلال فترة حكمه من أن يفرض سلطانه على بلاد ما وراء النهر، وعلى إيران باستثناء الجزء الغربي منها.

بعد وفاة شهرخ تولى ابنه "ألغ بك"وكانت سياسته امتداد لسياسية أبيه الرشيدة ، حيث تجمع المصادر التاريخية على وصفه بأطيب الصفات، وعلى اهتمامه بالعلم والعلماء، وبخاصة علم الفلك، الذي صنف بأنه أحد أعلامه في ذلك الزمان.وفي ذلك يصفه البدليسي بالقول أنه: "لم ير عهد الإسلام بل ولا عهد ذي القرنين ملكا عالما فيلسوفا مثله"(٤).

---

(١) حسن بيك روملو، أحسن التواريخ، به اهتمام: عبد الحسين نوائي، ترجمه ونشر كتاب، تهران سنة ١٣٤٩هـ.ش، ١/١٤٠.

(٢)حسن بيك روملو، المصدر السابق، ١/٤١٩. وانظر في ترجمة شاهرخ: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٣/٢٩٨. وانظر: عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٦١٥.

(٣) يقول البدليسي في ذلك: "أعادوا لهذه المدينة سيرتها الأولى من العمران والازدهار في مدة وجيزة". انظر: شرفنامه، ٢/٧٢.

(٤) شرفنامه، ٢/٩٠.

الا أن فترة حكم ألغ بك لم تدم طويلا حيث قتل على يد ابنه عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، وقد كان عام وفاته بداية انهيار للدولة التيمورية؛ حيث اشتد صراع أحفاد تيمورلنك على البلاد، ولم يكن لأحدهم جدارة مميزه تمكنه من أن يدير دولة بهذه الاتساع،وأن يفرض سلطته على خصومه السياسين. لذلك استغلت الحكومات التركمانية في إيران هذا التمزق، واستولوا على أقاليم الدولة التي تضاءل نفوذها وتقلصت مساحتها في خراسان، حتى كان العام ٩١٣هـ/١٥٠٧ هو النهاية لهذه الدولة من على الساحة السياسية في إيران وبلاد ما وراء النهر[١].

(١) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٦١٧.

الأسرة الصفوية ونشاطها الدعوي في عهدها الباكر

تشير المصادر العربية والفارسية التى تناولت تاريخ الأسرة الصفوية وبخاصة الأجداد الأوائل لها إلى تجذر السلوك الديني وبخاصة الدعوي والإرشادي منذ البدايات الأولى لتشكل هذه الأسرة.

فالمصادر تشير إلى أن أقدم من عُرف من جدود الأسرة الصفوية هو "فيروزشاه"،وهو أول من استقر من أفرادها في إيران في حدود سنة٥٧٠هـ/١١٧٤(١)، ولذلك فإن المستشرق الإنجليزي إدوارد براون يصفه بقوله: "أقدم جد للصفويين"(٢)، وقد أقام في إقليم أذربيجان حيث استقر في مدينة "أردبيل"(٣).

وتختلف المصادر التاريخية في تحديد المكان الذي نزح منه "فيروزشاه" فيذكر بعضها أنه كان يعيش في كردستان قبل أن يأتي إلى أردبيل(٤)، في حين يذكر خواندمير أنه كان يسكن في ناحية "رنجين" القريبة من جيلان قبل أن ينتقل منها للإقامة في أردبيل(٥).

وقد عُرف الرجل بصلاحه وزهده وكثرة عبادته، كما ساعده ثراؤه الكبير على أن يعيش حياة كريمة، وأن يكون له دور ملحوظ في هداية الناس ودعوتهم إلى طريق الحق والخير(٦).

وقد ظل فيروزشاه مقيما في أردبيل يمارس دوره الدعوي حتى توفي ودفن فيها(٧)، فقام ابنه عوض الخواص بتولى مهمة الدعوة والإرشاد من بعده، وكان له ولد يسمى "محمد الحافظ"، وهو صاحب قصة أقرب إلى الأساطير حيث تذكر أن الجن خطفته وهو في الثامنة من عمره، وقامت على تربيته وتحفيظه القرآن وعلوم الدين

(١) والترهينتس، تشكيل دولت ملى در ايران، حكومت آق قوينلو، وظهور دولت صفوى، ترجمه: كيكاوس جهانـــدارى، انتـــشارات خوارزمى، جاب سوم، تهران، سنه ١٣٦٢ هـــ.ش، ص٢.

(٢) تاريخ الأدب في إيران، من بداية الحكم الصفوي حتى نهاية الحكم القاجاري، ترجمه إلى الفارسية: رشيد ياسمى، وتـــرجم هـــذا الجزء إلى العربية. محمد علاء الدين منصور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة سنة ٢٠٠٢م، ٤٢/٤.

(٣) أردبيل من أشهر مدن أذربيجان، وكانت بعد الفتوحات الإسلامية قصبة الناحية، تشتهر بكثرة أنهارها، وكثـــرة الـــصناعة فيهـــا: انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان١٤٥/١.

(٤) نصر الله فلفسي، زند كانى شاه عباس اول، انتشارات دانشكاه تهران، جاب بنجم، ايران، سنه ١٣٥٣ هـــ.ش، جلداول ص٣.

(٥) حبيب السير، ٤١٠/٤.

(٦) البدليسى شرفنامه، ١١٨/٢.

(٧) ابن البزار الأردبيلي، صفوة الصفا، در ترجمة أحوال وأقوال وكرامات شيخ صفي الدين أردبيلي، مقدمة وتـــصحيح: غلامرضـــا طباطبائي مجد، ناشر: زرياب، تهران سنة ١٣٧٦هـــ.ش، ص٧٢.

لمدة سبع سنوات، عاد بعدها إلى والده حافظا لكتاب الله، وعارف بعلومه، وسمي لأجل ذلك بمحمد الحافظ(١).

كان لمحمد الحافظ نشاط دعوي ملحوظ، وقد أسهم ذلك في زيادة عدد مريديه، فالتف حوله عدد كبير من الأتباع(٢)، وظل يمارس هذا النشاط الدعوي حتى وفاته، فورث ابنه "صلاح الدين رشيد" المسئولية الدعوية بعده، وكان على درجة كبيرة من الصلاح والعلم، حيث بلغ زهده حدًا ملحوظا، حتى يقال أنه تصدق على الفقراء بكل أمواله، وقسم أملاكه بين أتباعه، وقنع بأن يعيش على الكفاف، حيث ضل يعمل بالزراعة حتى توفي في السبعين من عمره(٣).

تولى "قطب الدين أحمد" إرشاد المريدين والتابعين، ويلاحظ أن "قطب الدين" كانت لديه رغبة في نشر الدين الإسلامي بين النصارى المقيمين حول إقليم أذربيجان، لكن هذا النشاط الدعوي أقلق أحد زعماء "الكرج" المسيحيين، ويسمى "بكرات خان"، فعزم على وقف نشاط الشيخ، ولهذا السبب ذهب إلى أردبيل حيث قيل أنه قتل عددًا كبيرًا من المسلمين المدافعين عن شيخهم، وقد ظلت أردبيل تحت حصارهم حوالي ثلاثة أيام، حيث تعرضت فيها للنهب والسلب، وفي نهاية الأمر مات الشيخ قطب الدين أحمد بعد إصابته في هذه الحروب(٤).

أكمل الشيخ صالح بن قطب الدين مسيرة أبيه في الدعوة والإرشاد، لكن المعلومات عنه في المصادر قليلة، حتى أن المستشرق إدوارد براون لم يذكره في سياق حديثه عن الأسرة الصفوية في هذا العهد الباكر(٥)، وظل الرجل يمارس الدعوة حتى مات، فتولى ابنه أمين الدين جبرائيل مهمة الدعوة والإرشاد، وعندما بلغ الثلاثين من عمره رغب في السفر إلى شيراز، وفيها ارتدى لباس الدراويش، ونال مكانة كبيرة

(١) مؤلف مجهول، عالم آراى صفوى، به كوشش: يد الله شكري، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، تهران سنه ١٣٥٠هـ.ش، ص٦..

(٢) اسكندر بيك منشي، تاريخ عالم آراى عباسى، تحقيق: ايرج افشار، ناشر: امير كبير، تهران سنه ١٣٨٢ هـ.ش، ١٠/١. وانظر: خواندمير، حبيب السير، ٤١١/٤.

(٣) ابن شدقم، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الناشر: آينه ميراث، طهران سنه ١٣٧٨هـ. ش، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص٣٢٥.

(٤) خواندمير، حبيب السير، ٤١٢/٤.

(٥) تاريخ الأدب في إيران، ٤٣/٤.

بين الصوفية في هذه المناطق، ومكث في شيراز عشر سنوات، تزوج فيه بامرأة تسمى "دولتى"، أنجب منها سبعة أبناء، كان أكبرهم الشيخ صفي الدين الأردبيل(١).

وتبدأ مع الشيخ صفي الدين الأردبيلي مرحلة جديدة من تاريخ الأسرة الصفوية، مرحلة يتحول فيها الشيخ صفي الدين من مجرد رجل له باع في العلوم الشرعية ونشاط في وعظ الناس وإرشادهم إلى طريق الحق، إلى زعيم لجماعة صوفية سنية كبيرة يقدر عدد أتباعها بمئات الآلاف ينتشرون في معظم أرجاء إيران.

صفي الدين الأردبيلي، وتبلور الطريقة الصفوية السنية في عهده

يعتبر الشيخ صفي الدين الأردبيلي هو الشخصية الأشهر في الأسرة الصفوية كلها؛ فإليه تنسب الأسرة في طورها الدعوي الصوفي، كما نسبت الدولة إليه بعد قيامها على يد واحد من نسله هو الشاه إسماعيل الصفوي، ولذلك كان ظهور الرجل بمثابة مرحلة جديدة من مراحل الأسرة الصفوية التي تحولت فيه الأسرة إلى جماعة صوفية هي الأشهر في غرب إيران وشرق الأناضول.

وقد ولد صفي الدين الأردبيلي في عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م في أسرة لها مكانة دينية واجتماعية مميزة كما بين سابقا، حيث يصفه البعض بأنه يكن في صباه كسائر أقرانه، إنما كان موقرا، مؤثرا للعزلة، مجتنبا اللعب، فضلا عن إظهاره ميلا خاصا للجوانب الروحية(٢)، وأنه بدأ رحلة من البحث في مطلع شبابه عن شيخ من شيوخ التصوف ليأخذ آداب الطريقة على يديه(٣).

انتظام الشيخ صفي في طريقة الشيخ زاهد الجيلاني:

كان الشيخ صفي الدين يسأل عن شيخ له باع في طريق التصوف لينتظم ضمن مريديه، فدله الناس في شيراز على الشيخ زاهد الجيلاني، وكان أحد العارفين المشهورين في ذلك الوقت(٤).

---

(١) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص٧٦.

(٢) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص٨١. ٣٨.

(٣) سيد حسن بن مرتضى حسيني استرآبادي، از شيخ صفى تا شاه صفى، باهتمام: احسان اشراقى، ناشره علمى، تهران، ص١٨.

(٤) الشيخ زهاد الجيلاني، هو تاج الدين إبراهيم بن روشن أمير بن بابيل بن شيخ بندار الكردي السنجاني، وقد وهبه لقب "زاهد" شيخه السيد جمال الدين، وقد ذكر خواندمير أن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –. انظر في ترجمته: خواندمير، حبيب السير، ٤١/٤. وانظر: ابن البزاز، صفوة الصفا، ص١٨٤. وانظر: براون، تاريخ الأدب في إيران، ٤٨/٤.

والطريقة الصفوية التي كان يتزعمها الشيخ زاهد هي امتداد الطريقة السهروردية المنسوبة إلى الشيخ ضياء الدين عبد القادر السهروردي (٥٦٣هـ/ ١١٦٨ م) [١]، الذي كان يتمتع بنفوذ واسع حتى أن بعض المصادر تقدر عدد مريديه في إيران بما يزيد على مائة ألف مريد[٢].

ذهب الشيخ صفي الدين الأردبيلي ليلتحق بالشيخ زاهد الجيلاني، ولينتظم في سلك مريديه، فأحسن الشيخ استقباله وقطع خلوته لأجل صفي الدين، وكان لا يسمح لأي مريد أن يقطع عليه خلوته في شهر رمضان، وهذا يدل على مدى تقدير الشيخ لصفي الدين الأردبيلي ومحبته له، وقد تجلت هذه المحبة في تقريبه لصفي الدين وإدنائه منه، وتعليمه أوراد الطريقة وأذكارها، وكان يعلن أنه والد له وليس شيخا فقط[٣]، وكان الشيخ يبدي إعجابه بحماسة صفي الدين وكثرة عباداته، ويحث مريديه على أن يتخذوه قدوة لهم[٤]، ثم مَنَّ على مريده وزوجة ابنته فاطمة ليؤكد هذه المحبة ويقوي علاقته بمريده[٥].

كان الشيخ زاهد الجيلاني يعتمد على صفي الدين اعتمادا كبيرا في تربية المريدين، وبخاصة في أيام مرضه الأخير، ورغم أن الشيخ كان له أبناء ذكور منتظمون في سلك مريديه فإنه لم يعهد لأحد منهم بخلافته في إرشاد الطريقة، وآثر أن يعهد لصفي الدين الأردبيلي بذلك. وقد أبدى صفي الدين –في البداية– عدم قبول لهذا الأمر الجليل، غير أنه استجاب في النهاية لرغبة شيخه، وقبل خلافته في مشيخة الطريقة؛ ليجلس بعد وفاة شيخه في عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م على سجاة الإرشاد بعد أن ظل مريدا لشيخه قرابة خمس وعشرين سنة[٦].

لم يمكث صفي الدين الأردبيلي كثيرا في "جيلان" بعد وفاة شخيه، فقد قرر العودة إلى أردبيل مسقط رأسه، وموطن آبائه وأجداده؛ لتكون مقرًا للطريقة الصوفية

(١) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص١٨١.

(٢) عالم آراى صفوى، ص١٠.

(٣) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص ١١٤.

(٤) عالم آراى صفوى، ص١٣.

(٥) خواندمير، حبيب السير، ٤/٤١٥.

(٦) ميشل م. مزاوي، أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين سقوط الخلافة العباسية وقيام الدولة الصوفية، ترجمة إلى الفارسية: يعقوب آژند، وترجمه إلى العربية: أحمد الخولي، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ٢٠٠٦م، ص١٣١.

بدلًا من جيلان، وذاعت شهرته في إيران كلها، وأصبح من عارفي عهده المشاهير[١]، وزاد عدد أتباعه ومريديه بصورة كبيرة، لدرجة زادت عن الحصر كما يذكر بعض المؤرخين[٢].

ومما يؤكد هذا الانتشار الواسع الذي تحقق للطريقة الصفوية في ذلك الوقت أن أحد معاصري الشيخ صفي الدين ويدعى مولانا شمس الدين برنيقي الأردبيلي قال: أحصيت عدد الطلاب والمشتاقين في طريقة مراغة وتبريز، وقد توجه إلى حضرة الشيخ في هذا الطريق وحده ثلاثة عشر ألفا في ثلاثة شهور، وأدركوا شرف حضرته المباركة، وتابوا على يديه، وقس على هذا باقي الأطراف[٣].

كذلك يدل حوار دار بين الشيخ صفي الدين الأردبيلي والقائد المغولي "جوبان" على كثرة مريدي الشيخ ومحبيه، فقد سأله الأمير جوبان قائلا: هل عدد جنود السلطان أكثر أم عدد مريديك؛ فأجاب الشيخ: "في إيران عدد مريدينا ضعف جنود السلطان"[٤]، وهذا يدل على إدراك الشيخ لحجم القوة الممثلة في هذا العدد الضخم من الأتباع، والذين كانوا ينتشرون في جيلان، وأصفهان، وشيراز، وأذربيجان، فضلا عن آسيا الصغرى، ورغم ذلك لم يؤثر عن الشيخ أي تطلع إلى أمور الحكم والسياسة، أو السعي للحصول على أية سلطة أو ملك.

اعتقاد رجال السياسة وكبار القادة في الشيخ صفي الدين:

لم يقتصر أتباع الشيخ صفي الدين على الفقراء والعامة فقط، إنما طغى سلطانه الروحي على الأمراء والحكام في عصره، وكان على رأس هؤلاء الإيلخان أبو سعيد نفسه، فقد كان من المتعلقين بالشيخ، المعتقدين في صلاحه وتقواه[٥]، كذلك كان الأمير "جوبان" معتقدا في الشيخ، ومريدا مخلصا له، وقد أسهم ذلك في انخراط أعيان المغول وزعمائهم ضمن مريدي الشيخ صفي الدين الأردبيلي[٦].

---

(١) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٦٣٩.

(٢) ميشيل مزاوي،أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي، ص١٣١.

(٣) براون، تاريخ الأدب في إيران، ٤٩/٤.

(٤) البدليسي، شرفنامه، ١١٨/٢، ١١٩.

(٥) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ترجمه وقدم له وعلق عليه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ص ٣٦١.

(٦) البدليسي، شرفنامه، ١١٨/٢.

كذلك كان الوزير الإيلخاني الشهير رشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ/١٣١٨م) يقدر الشيخ تقديرا ملحوظا، ويتضح هذا التقدير والاهتمام في مداومته على إرسال الغلال والأطعمة والمشروبات والدواب وغيرها إلى خانقاه الشيخ، وكان يطلب منه أن يدعو له بالخير(١).

وتظهر إحدى الرسائل التي أرسلها رشيد الدين إلى ابنه الأمير أحمد حاكم أردبيل مدى هذا الاهتمام، وحجم هذه الرعاية، ففي هذه الرسالة يوصيه بأن يخص الشيخ ومريديه بالرعاية والاهتمام؛ حتى ينال رضا الشيخ ودعاءه، يقول رشيد الدين موصيا ابنه أحمد: "بحيث تجعل جناب قطب فلك الحقيقة، سباح بحار الشريعة، ومساح مضمار الطريقة، شيخ الإسلام والمسلمين، برهان الواصلين، قدوة الأصفياء، زهرة دوحة الوفاء، الشيخ صفي الملة والدين، أدام الله تعالى بركات أنفاسه الشريفة عند راضيا، وأن أعتاب ولايته حمى دائم، كأنها الحجب تحجب العجز والمصيبة، وتيقَّن أنه فلك السائرين"(٢).

كذلك مما يدل على شهرته وقبوله في نظر معاصريه من قول حمد الله مستوفي القزويني: "الشيخ صفي الدين في حياته هو رجل صاحب موقف، وله قبول عظيم، وببركة علاقته بالمغول امتنع هؤلاء القوم عن إيذاء الناس، وهذا أمر عظيم"(٣).

<u>صفي الدين الأردبيلي وحقيقة نسبته للتشيع:</u>

على الرغم من أن المستقر عند كثير من الباحثين أن صفي الدين كان سنيا على المذهب الشافعي(٤)، فإن بعض الآراء تنسبه إلى التشيع(٥)، بل وهناك رأي آخر جمع

(١) المصدر السابق.

(٢) ثريا محمد علي، مكاتبات رشيدي لرشيد الدين فضل الله الهمداني، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨١م، ص٢٣٨.

(٣) حمد الله مستوفي القزويني، تاريخ گزيده، طبع عبد الحسين نوائي، تهران سنة ١٣٣٦ هـ.ش، ص٦٧٥.

(٤) براون، تاريخ الأدب في إيران، ٤٩/٤. وانظر: ميشل مزاوي، أضواء على الحياة الفكرية، ص١٢٤. وانظر بطروشفسكي، الإسلام في إيران، ص٣٦٣.

(٥) حسين عماد زاده اصفهاني، تاريخ مفصل اسلام، انتشارات اسلام، تهران، جاب هفتم، سنة ١٣٧٠ هـ. ش، ص٩٦٠. وانظر: محمود شاكر، وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر،دار المريخ للنشر،الرياض سنة ١٩٨٤م،١٤٧/١.

بين الرأيين، فجعله سني المظهر على مذهب الإمام الشافعي، شيعي المخبر على المذهب الجعفري(١).

ولكن في حقيقة الأمر ومما يؤكد على سنيته هو ما يورده القزويني وهو معاصر للشيخ صفي الدين عندما يقول في كتابة نزهة القلوب في معرض حديثه عن مدينة أردبيل: "أردبيل من الإقليم الرابع..... وأغلب الناس على المذهب الشافعي ومريدون لشيخ الدين عليه الرحمة"(٢).

وفي هذا الأمر يعلق المستشرق الإنجليزي إدوارد براون على سُنِّية الشيخ صفي بقوله: ليس لدي دليل على أن الشيخ صفي كان يتبع المذهب الشيعي كما كان عند أخلافه، وأن هناك دليلا يثبت عكس ذلك وهو الرسالة التي أرسلها عبيد الله خان سنة ٩٦٣هـ/١٥٢٩م إلى طهماسب بن إسماعيل يقول فيها: "وأبوكم الكبير المرحوم الشيخ صفي كما سمعت فقد كان رجلا عزيزا من أهل السنة والجماعة، ونحن في حيرة عظيمة من أجل هذا، لأنكم لستم تابعين لطريقة حضرة المرتضى (علي رضي الله عنه) ولا طريقة أبيكم الكبير"(٣).

كذلك يؤكد الباحث الشيعي مصطفى كامل الشيبي أن أهم ما يذكر في شأن صفي الدين الأردبيلي أنه لم يكن شيعيًا البتة، وذلك واضح من بعض نصوص كتاب صفوة الصفا التي كان من أهمها أنه عندما فسر قول الله: : "***يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ***"(٤)، وهي تنصرف عند الشيعة إلى حديث الغدير المشهور واستخلاف النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺلم يقف عندها الوقفة الشيعية المعهودة وذلك تكرر في غير موضع لم يتبن فيه التفسير الشيعي للآيات(٥).

أما فيما يرى بشيعية صفي الدين فهو يستند إلى عدة أبيات شعرية قالها صفي الدين الأردبيلي يمدح فيها علي بن أبي طالبﷺ ليقطع بأن الرجل كان شيعيا اثنى

(١) أحمد الخولي، الدولة الصفوية، تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨١م، ص٣٧.

(٢) مستوفي قزويني، نزهة القلوب، يسعى واهتمام: كاى ليسترنج، ناشر: دنياى كتاب، تهران، سنه ١٣٦٢هـ.ش، ص٩٢.

(٣) تاريخ الأدب في إيران، ٤٩/٤.

(٤) المائدة، آية ٦٧.

(٥) كامل مصطفى الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة – بغداد، سنة ١٩٦٧م، ص٢٠.

عشري، وهذا الأمر لا يمكن الأخذ به لعدة أسباب. منها أن هذه الأبيات مشكوك في صحة نسبتها لصفي الدين، وأنها نسبت إليه بعد قيام الدولة الصفوية الشيعية على يد الشاه إسماعيل الصفوي(١).

أما الأمر الأخر فهو أن الإمام عليًا يلتقي في حبه السنة والشيعة على حد سواء، فليس كل من قال شعرًا في مدحه يعد شيعيا، فضلا عن أن الصوفية –بشكل خاص– يعدون عليا ﷺرمزا للفتوة، ونموذجا للمتصوف الزاهد، فهو عندهم راية الهدى، وإمام الأولياء، وقد وضعه معظم الصوفية من أهل السنة على رأس أسانيدهم الصوفية، بل اعتبروا نشأة الزهد والتصوف على يديه(٢)، ولذلك لا عجب من إكثارهم في مدحه، ومدح أبنائه في أشعارهم وكتاباتهم.

أضف الى ذلك حقيقة شيوع بعض الكتابات لشعراء وكتاب إيرانيين من أهل السنة في فضائل آل البيت ومدحهم، مما يعني أن الأمر لم يكن مقصورا على صفي الدين وحده، والأمثلة على ذلك كثيرة في أشعار عبد الرحمن الجامي (٨٩٨هـ) – مثلا– وهو من أكبر الرموز السنية الصوفية في إيران عبر تاريخها، وأشعاره في مدح علي بن أبي طالب وأبنائه كثيرة وشائعة(٣).

بعض المؤرخين المعاصرين حاول الخروج من الخلاف الدائر حول المذهب العقائدي للشيخ صفي الدين، بالقول: "إن الاختلاط الفكري الذي ميز الحياة الروحية في إيران قبل ظهور الشاه يوضح لماذا التبس الأمر على المؤرخين في تحديد مذهب الشيخ صفي الدين أكان شيعيا أم سنيا، "إننا نعتقد أن ما يفسر هذا اللبس هو سيادة نمط من ثقافة إسلامية عامة في إيران متعددة المصادر والتعبيرات. ولعل أبرز هذه التعبيرات قبل انتقال الطريقة الصفوية إلى سلطان صفوي، هي جمعها بين التصوف والإمامية وفي إطار هذا الجمع يبدو التساؤل حول مذهبية الطريقة الصفوية أمرا ثانويا. فالسائد

(١) محمد السعيد عبد المؤمن، الأدب في العصر الصفوي، القاهرة، سنة ١٩٨٤، ص١٦٨.

(٢) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩م، ١١٥/٣م.

(٣) يسري فؤاد مرسي، الشعر في بلاط حسين ميرزا بايقرا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٩١م، غير منشوره، ص٥٢٠.

هو نمط من ثقافة إسلامية عامة في إيران لم تحتل فيها الاختلافات الفقهية والكلامية حيزا كبيرا"[١].

والحقيقة أن الرأي السابق لا يخلو من وجاهة، بيد أن القول بجمعها بين التصوف والإمامية لا يمكن أن يكون دالا على طبيعة الحياة المذهبية والروحية للشيخ صفي الدين الأردبيلي، وكان يمكن التعبير عن ذلك بوصف الرجل بأنه كان صوفيا سنيا، والصوفي لا يكون مشغولا بالانحيازات المذهبية، والخلافات العقائدية بقدر ما يكون شغله الشاغل تربية نفسه، وأخذها بألوان التأمل والعبادات.

الشيخ صدر الدين موسى (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) وتأكيد الهوية السنية للطريقة

الشيخ صدر الدين هو أكبر أبناء الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وكان في أيام أبيه الأخيرة يجلس على سجادة الإرشاد ليعظ مريدي الأسرة الصوفية، وذلك حين مرض الشيخ صفي الدين ولم يعد قادرًا على القيام بعبء مشيخة الطريقة، ولذلك فقد عهد له الشيخ صفي الدين بالإرشاد من بعده، فجلس على سجادة الإرشاد بوصفه شيخا للطريقة الصفوية، وعمره في ذلك الوقت إحدى وثلاثون عاما[٢].

عاصر الشيخ صدر الدين موسى الفترة السياسية التي أعقبت وفاة أبي سعيد، وقد أسهمت الأجواء المضطربة في ذلك الوقت في إقبال الناس على مجالس الصوفية هربا من هذا الواقع الأليم، كما أسهم ذلك بشكل كبير في زيادة عدد مريدي الطريقة الصوفية، وفي اتساع نشاط الطريقة في العراق العجمي وفي خراسان.

لكن هذه الزيادة في أعداد مريدي الأسرة الصفوية أقلقت حاكم أذربيجان "ملك أشرف بن تيمورتاش بن جوبان"، فأراد أن يتخلص منه بدس السم، لكنه لم يفلح في هذا، فحبسه ثلاثة أشهر، ثم أطلق سراحه في النهاية، وأذن له بالعودة إلى أردبيل[٣].

والعجيب أن هذا الحاكم كان ــ شأن أبيه وجده ــ من مريدي الأسرة الصفوية، وكان يذهب إلى أردبيل لينال بركة شيوخها ودعائهم، كما كان يتردد على الشيخ صدر الدين بشكل خاص، ويكن له احتراما شديدا، يقول ابن شدقم: "كان الملك

(١) وجيه كوثرانى، الفقيه والسلطان، جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية – القاجارية والدولة العثمانية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠١م، ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٦٣٩.

(٣) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص١٠٠١. وانظر براون، تاريخ الأدب في إيران، ٥٠/٤.

أشرف الجوباني في أوائل سلطنته يوده كثيرا، ويعزه ويعظم شأنه ويرفع منزلته، حتى إنه قبل قدميه مرارا"[١].

لكن الحاكم ،وبسبب طبيعة الحكم، لا يريد أن يرى من ينازعه التفاف الناس حوله، ويقلقه كل صاحب نفوذا روحيا على قلوب الناس، ولذلك ظل يطلب الشيخ صدر الدين ويطارده، حتى عام ٧٥٨هـ حيث قتل الملك أشرف في نزاع مع حاكم القبجاق الذي شمل صدر الدين برعايته، وأعاده إلى أردبيل سالمًا مكرما، وظل الشيخ مقيما بها حتى توفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢[٢].

كانت الفترة التي قضاها صدر الدين موسى على رأس الطريقة امتدادًا لترسيخ الهوية السنية للأسرة الصفوية ومريديها، فقد قام الشيخ بتنظيم الدعوة وتوسيع رقعتها، وأرسل خلفاءه إلى كثير من البلدان للدعوة ونشر الطريقة.

كذلك كان صدر الدين موسى يؤكد طول مدة إرشاده للطريقة الصفوية ــ وهي مدة طويلة بلغت حوالي تسعة وخمسين عامًا ــ يؤكد على الطابع السني لطريقته، وكان يعلن تسننه بطريقة لا لبس فيها[٣]، وقد تجلى ذلك في رده على أحد مريديه عندما سأله عن مذهبه العقائدي فقال: نحن على مذهب الصحابة، ونحن الأربعة كلهم، ونترضى عنهم جميعًا، ونختار من المذاهب أشدها وأكثرها حيطة ونعمل بمقتضاه[٤].

خواجه علي سياهبوس وحقيقة تشيعه:

خواجه علي هو أكبر أبناء الشيخ صدر الدين موسى، واشتهر بلقب "سياهبوس" لأنه كان يرتدي الملابس السوداء فعرف بهذا اللقب وهو كلمة فارسية تعني "لابس السواد". وقد خلف والده في إرشاد الطريقة بناء على وصية والده، الذي رأى فيه الكفاءة لتولي هذا الأمر المهم؛ لما يتمتع به من صلاح وزهد وورع[٥].

وقد عاصر الشيخ علي هجوم تيمورلنك بجيوشه على إيران، وما سببته من خراب ودمار في البلاد، وهذا دفع الناس إلى الهروب من جحيم الحياة إلى مجالس

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص٣٣٧.

(٢) خواندمير، حبيب السير، ٤٢٢/٤، ٤٢٣.

(٣) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص٣٦٣.

(٤) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص٨٨٦.

(٥) عالم آراى صفوى، ص١٨. وانظر: عباس إقبال، إيران بعد الإسلام، ص٦٣٩.

الصوفية وحلقات الذكر؛ طلبًا للراحة النفسية، والهدوء والاطمئنان والسكينة، وقد أسهم ذلك في زيادة أعداد المنخرطين في سلك الطريقة في ذلك الوقت.

والحقيقة أن تيمورلنك كان يقدر خواجه علي تقديرا كبيرا، وكان يعامله بلطف ظاهر وكرم كبير، وقلما كان يفعل هذا مع أحد. وقد التقى به ثلاث مرات، ولبى طلبه بعد معركة أنقرة مع العثمانيين سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م حين طلب منه خواجه علي أن يفرج عن الأسرى الأتراك، فاستجاب له، وصارت هذه الجموع من أكثر الطوائف إخلاصا للأسرة الصفوية في مرحلتها الصوفية، وبعد تحولها إلى دولة بعد ذلك (١).

أيضا أمر تيمورلنك بأن تكون أراضي أردبيل وقفا على الأسرة الصفوية(٢)، ولا شك أن تلك الإقطاعات الواسعة قد وفرت للأسرة الصفوية موارد مالية ضخمة، كانت بدون شك الركيزة الاقتصادية التي ضمنت استمرار الأسرة وسيادتها الاقتصادية التي ضمنت استمرار الأسرة وسيادتها لمشهد الحياة الدينية في شمال إيران وغربها.

وقد توفى خواجه علي أثناء عودته من الحج في عام ٨٣٠هـ/١٤٢٧م، ودفن في فلسطين، ويعرف قبره هناك بضريح الشيخ علي العجمي أو سيد العجم(٣).

أما عن الجانب المذهبي لدى خواجه علي، فإن هناك جدل كبير ثار حول انتمائه المذهبي، فاعتبرته بعض الكتابات أنه أول من تحول إلى المذهب الشيعي بشكل صريح ودعا الناس إلى إتباعه(٤).

والحقيقة أن هذا الرأي لا يتفق مع ما ورد في المصادر عن خواجه علي في هذا السياق، من ذلك مثلا ما ذكره مجير الدين العليمي في ترجمته لخواجه علي حيث قال: "الشيخ الصالح العابد علاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ العابد الملك صدر الدين بن الشيخ الصالح صفي الدين الأردبيلي العجمي، الزاهد الحجة شيخ الصوفية وابن شيخهم، كان والده من أعيان الصالحين ببلده، وله كرامات ظاهرة، وكذلك ولده الشيخ علي المشار إليه، وذكر عنه من الكرامات والمناقب ما يطول شرحه. قدم إلى الشام في سنة ثلاثين وثمانمائة قاصدا الحج، ومعه خلق كثير من أصحابه وأتباعه،

(١) أحمد الخولي، الدولة الصفوية، ص٣٢.

(٢) عالم آراى صفوى، ص٢٥.

(٣) ابن البزاز، صفوة الصفا، ص١٢٣٩.

(٤) براون، تاريخ الأدب في إيران، ٥١/٤. وانظر: أحمد الخولي، الدولة الصفوية، ص٣١. وانظر: محمد سهيل طقوس، الدولة الصفوية في إيران (٩٠٧ – ١١٤٨هـ/١٥٠١–١٧٣٦م)، دار النفائس، بيروت. سنة ٢٠٠٩م، ص٣٨.

وجاور بمكة ثم قدم إلى بيت المقدس، ويقال إنه شريف علوي، وتوفي بالقدس الشريف في أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة عن نحو ستين سنة، ودفن بباب الرحمة بلصق سور المسجد. وكان يوما مشهود الدفنة، وبنى أصحابه على قبره قبة كبيرة، وهي مشهورة تقصد للزيارة"[١].

والترجمة السابقة لا يوجد فيها ما يشير إلى تشيع الرجل، بل تظهر كلها حقيقة واحدة، وهي أن الشيخ كان يتمتع كأبيه وجده بمكانة كبيرة بين الناس لمنزلته العالية في التصوف، كما تؤكد هذه الكلمات على أن الرجل ظل ــ حتى بعد موته ــ مقصدا لجموع كبيرة من المريدين والأتباع.

كذلك نعته المؤرخ والفقيه والمحدث السني الشهير ابن حجر العسقلاني بـــ "شيخ الصوفية"، وأنه قدم إلى دمشق سنة ثلاثين ومعه أتباعه، فجح وجاور، وأنه له ولوالده في تلك البلاد أكثر من مائة ألف مريد[٢]. وقد أكد هذا السخاوي في ترجمته له، فذكر أنه شيخ الصوفية، وأن مريديه يعتقدون فيه اعتقادا يجل عن الوصف[٣].

كل تلك الروايات تضعف الاعتقاد بتشيع خواجه بل وتدعم حجة أنه كان امتدادًا لجده الشيخ صفي الدين الأردبيلي، ويعزز ذلك ندرة المعلومات التي وردت في المصادر عن ابنه وخليفته من بعده "الشيخ إبراهيم"، وأن حياته تميزت بالهدوء الشديد كما يذكر خواندمير[٤]، وهذا لا يتناسب أبدًا مع ما قد يحمله من صراع وصدام في حال التحول إلى المذهب الشيعي والسعي لنشره في محيط سني مهيمن على الحياة الدينية في إيران في تلك الفترة.

الشيخ إبراهيم "شيخ شاه" (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) ونهاية المرحلة السنية في مسيرة الأسرة الصفوية:

الشيخ إبراهيم هو من تولى إرشاد الطريقة بعد وفاة أبيه خواجه علي، والمعلومات التي وردت عنه في المصادر المتعلقة بفترة الدراسة قليلة كما ذكر من قبل، ولذلك يقول إدوارد براون في معرض حديثه عنه: "الشيخ إبراهيم المعروف

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، الأردن، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ١٦٩/٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، طبعة جديدة سنة ٢٠١٤م، ٤٢٧/٣، ٤٢٨.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ٢٩/٦.

(٤) حبيب السير، ١١/٤.

بشيخ شاه، خلف أباه في عام ٨٣٠هـ/١٤٢٧م، ومات في ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وليس لدينا غير أولاده الستة"[١]. ويقول المؤرخ المعاصر ميشل مزاوي في السياق ذاته: "لم يقع حدث مهم في زمان الشيخ إبراهيم، ويبدو أن نشاط طريقة أردبيل بقي على حاله الأدنى"[٢].

وهكذا كانت الطريقة الصفوية في عهد صفي الدين الأردبيلي وأبنائه الثلاثة الذين تولوا إرشاد الطريقة بعده طريقة صفوية سنية، وليس هناك أية إشارات تدل على اهتمامهم أو انخراطهم في أمور السياسة والحكم على الرغم من النفوذ الواسع الذي تحقق لهم في إيران في تلك الفترة.

تحول الطريقة الصفوية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي:

مما سبق من عرض في هذا البحث تبرز حقيقة الجذور السنية للطريقة الصفوية، وأن التشيع لم يدخل هذه الطريقة في مراحلها المبكرة، إنما تحولت إليه الطريقة بعد ذلك في أعقاب صفي الدين الأردبيلي، وبدأت مرحلة جديدة خلطت فيها ما هو ديني بما هو سياسي عسكري لتنجح في النهاية في تأسيس دولة حكمت إيران ما يزيد على قرنين من الزمان، وغيرت هويتها المذهبية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الاثنى عشري.

وقد بدأ هذا التحول بعد أن تولى "جنيد بن الشيخ إبراهيم ٨٦٠هـ/١٤٥٦م" إرشاد الطريقة، فغير لقبه من شيخ إلى سلطان، فكان ذلك التحول اللقب بداية لتحول كبير في سياسة الطريقة وتوجهاتها.

لقد تحولت الطريقة على يد جنيد من طريقة صوفية خالصة إلى طريقة عسكرية، فخرج على رأس مريديه من التركمان الشيعة أهل الأناضول عدة مرات لمحاولة الاستيلاء على مكان يقيم فيه دولته، إلا إنه قتل في إحدى المعارك ودفن في أردبيل[٣].

وعلى صعيد المذهب، فإن جنيدا اعتنق المذهب الشيعي الاثني عشري، وكان يدعو إليه بوضوح، وواجه في سبيل ذلك كثيرا من الصعوبات، وقد أكمل ابنه وخليفته

(١) تاريخ الأدب في إيران، ٥١/٤.

(٢) أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي، ص١٣٢.

(٣) عالم آراى صفوى، ص٢٩.

من بعده "السلطان حيدر ت ٨٩٣هـ/١٤٨٨م" الطريق الذي بدأه أبوه، وعمق الاتجاه الشيعي للطريقة الصفوية، وأظهر ذلك في ملبسه وملبس أتباعه؛ فقد أمرهم بأن يرتدون غطاء للرأس، له اثنتا عشرة ذؤابة كناية عن الأئمة الاثنى عشر، وذلك تعبيرا عن الانتماء للمذهب الشيعي(١).

كذلك واصل طريق والده في الغزو والتوسع، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، وقتل هو الأخر في ساحة المعركة، لكن حلمه تحقق بعد ذلك على يد ابنه إسماعيل الذي تمكن من تأسيس الحكم الصفوي، وأن يستولي على إيران كلها، ويجعل منها حكومة واحدة، لها هوية مذهبية واحدة وهي التشيع الاثنا عشري، وفي سبيل تحقيق ذلك أقام المذابح لأهل السنة الرافضين لمذهبه، وفعل شنائع يضيق المقام عن ذكرها في هذا البحث(٢).

(١) عالم آراى صفوى، ص٣٠.

(٢) للمزيد: انظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص ٧-١٠ .

نتائج الدراسة :

(١) عاشت إيران فترة سياسية مضطربة منذ سقوط الإيلخانيين وحتى قيام الدولة التيمورية، وتجزأت أقاليمها بين أسرات متناحرة.

(٢) تعد وفاة أبي سعيد الإيلخاني النهاية الفعلية للدولة الإيلخانية وأن من جاء به من الحاكم لا يعتبرون امتدادًا لدولة الإيلخانيين القوية.

(٣) كان المذهب السني هو المذهب الرسمي للأسرات التي حكمت إيران في فترة الدراسة باستثناء الدولة السربدارية فقد كانت تدين بالمذهب الشيعي.

(٤) احتلت الأسرة الصفوية منذ عهدها الباكر مكانة اجتماعية كبيرة في إيران، واشتغلت بالدعوة منذ ظهورها على الساحة الدينية في إيران.

(٥) لازمت الصبغة السنية الأسرة الصفوية في مرحلتها الباكرة، فكانوا على مذهب أهل السنة والجماعة.

(٦) كان لصفي الدين الأردبيلي منذ طفولته الباكرة نزوع إلى الحياة الروحية، ورغبة في سلوك التصوف ولذلك سلك هذا الطريق منذ شبابه الباكر.

(٧) رغم الشهرة الواسعة وكثرة أعداد المريدين للشيخ صفي الدين، فإنه لم يؤثر عنه أي تطلع إلى الانشغال بالسياسة والحكم، أو تكوين سلطة لأسرته.

(٨) حظى صفي الدين بمكانة خاصة في قلوب حكام وأمراء الأسرات الحاكمة في إيران، وكان محل تقدير واهتمام منهم جميعا.

(٩) لا يمكن قبول الرأي الذي ينسب صفي الدين إلى التشيع، فالأدلة على تسننه كثيرة وقوية كما بينت الدراسة.

(١٠) جاءت نسبة صفي الدين إلى التشيع من الكتابات التي ألفت زمن أحفاده الذين تحولوا إلى التشيع، لكن الثابت –من خلال المصادر– أن الرجل كان سنيا شافعيا.

(١١) أسهمت الحياة السياسية المضطربة في زيادة أعداد المريدين والراغبين في دخول الطريقة الصفوية في عهد صدر الدين بن صفي الدين مما جلب عليه حقد الحكام في ذلك الوقت.

(١٢) كانت الفترة التي تولى فيها صدر الدين إرشاد الطريقة امتدادًا للهوية السنية، وكان يؤكد ذلك ويعلنه لأتباعه ومريديه.

(١٣) كان لخواجه علي بن صدر الدين منزلة كبيرة لدى تيمورلنك، وكان تيمور يبذل ما في وسعه لينال رضاه ودعاءه، وقد عزز ذلك من مكانة الطريقة في إيران في ذلك الوقت.

(١٤) الرأي القائل بتشيع خواجه علي لا يصمد أمام الشواهد التاريخية التي تؤكد سنية الرجل، وسنية الطريقة في عهده.

(١٥) يعد الشيخ إبراهيم آخر الزعماء الدينيين السنة للطريقة الصفوية، والهدوء الذي اتسمت به فترة توليه الإرشاد يؤكد عدم حدوث تحول كبير في سيرة الطريقة، أو في مذهبها.

(١٦) تحولت الطريقة الصوفية من المذهب السني إلى المذهب الشيعي على يد السلطان جنيد، وتأكد هذا التحول في عهد ابنه حيدر، وهذا ثابت في المصادر التاريخية لتلك الفترة.

المصادر والمراجع

أولاــ المصادر العربية والمعربة:

١. البدليسي (شرف خان ت١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)، شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، سنة١٩٦٢م.

٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، المغرب، سنة ١٩٩٧م.

٣. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت سنة ١٩٩٣م.

٤. القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي ت ٨٢٠ هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى، قدم لهذه الطبعة: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر سنة ٢٠٠٥م.

٥. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)،إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، طبعة جديدة سنة ٢٠١٤م.

٦. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د ت.

٧. ابن شدقم (ضامن بن شدقم الحسيني المدني)، تحفة الأزهار، وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، عليهم صلوات الله الملك الغفار، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري، الناشر: آينه ميراث، طهران، سنة ١٣٧٨ هـ ش.

٨. ابن عربشاه (أبو العباس شهاب الدين بن محمد الدمشقي ت٨٥٤ هـ/١٤٥٠م)، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٦م.

٩. العليمي (مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي ٩٢٨هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، الأردن، بيروت، سنة ١٩٧٣.

١٠. أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، مكتبة المتنبي، القاهرة.

١١. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

١٢. ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م.

ثانيا ــ المراجع العربية والمعربة:

١. أحمد الخولي ، الدولة الصفوية، تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨١م.

٢. إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران من بداية الحكم الصفوي حتى نهاية الحكم القاجاري، نقله إلى الفارسية: رشيد ياسمي، وترجمه إلى العربية: محمد علاء الدين منصور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

٣. أماني رجب أحمد عبد الرحيم، دولة السربداريين في خراسان (٧٣١ ــ٧٨٢ هـ/١١٣٠ ـــ ١٣٨٠م)، مع ترجمة كتاب "نهضت سربداران خراسان" تأليف: بطروشفسكي، ترجمه من الفارسية: كريم كشاورز، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠١م، لم تنشر.

٤. بطروشوفسكى، الإسلام في إيران، ترجمه وقدم له وعلق عليه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

٥. توفيق، زرار صديق، كردستان في القرن الثامن هجري–دراسة في تاريخها السياسي والاقتصادي. مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر. ٢٠٠١.

٦. ثريا محمد علي، مكاتبات رشيدى لرشيد الدين فضل الله الهمدانى، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨١م، لم تنشر.

٧. شعبان طرطور، الدولة الجلائرية، دار الهداية، مصر، سنة ١٩٨٧م.

٨. عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ / ٨٢٠م – ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م)، نقله عن الفارسية: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٩٨٩م.

٩. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الأهلية، العراق، سنة ١٩٣٩م.

١٠. عبد النعيم حسانين، قاموس الفارسية، دار الكتاب المصري (القاهرة)، ودار الكتاب اللبناني (بيروت)، سنة ١٩٨٢م.
١١. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
١٢. كامل مصطفى الشيبي. الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، سنة ١٩٦٧م.
١٣. محمد السعيد عبدالمؤمن ، الأدب في العصر الصفوي، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.
١٤. وجيه كوثراني،الفقيه والسلطان "جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية ــ القاجارية والدولة العثمانية"، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
١٥. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران (٩٠٧ –١١٤٨هـ / ١٥٠١م – ١٧٣٦م) دار النفائس، بيروت سنة ٢٠٠٩م.
١٦. محمود شاكر، وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض سنة ١٩٨٤م.
١٧. ميشل م. مزاوي، أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين سقوط الخلافة العباسية وقيام الدولة الصفوية (٦٥٦ – ٩٠٦هـ /١٢٥٠ – ١٥٠٠م)، ترجمه إلى الفارسية: يعقوب آژند، ونقله من الفارسية إلى العربية: أحمد الخولي، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
١٨. يسري فؤاد مرسي، الشعر الفارسي في بلاط حسين ميرزا بايقرا، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٩١م غير منشورة.

ثالثا ــ المصادر والمراجع الفارسية:

١. استرآبادي (سيد حسن بن مرتضى حسيني)، از شيخ صفي تا شاه صفي، با هتمام : احسان اشراقى، ناشره علمى، تهران.
٢. ابن بزاز اردبيلي (توكل بن اسماعيل بن حاجي محمد ت ٧٩٣هـ/١٣٩١م)، صفوة الصفا، در ترجمهء أحوال وأقوال وكرامات شيخ صفي الدين اردبيلي، مقدمه وتصحيح: غلام رضا طباطبائي مجد، ناشر: زرياب، تهران، سنة ١٣٧٦هـ. ش/١٩٩٧م.

٣. حافظ آبرو (شهاب الدين عبد اللطيف بن لطف الله الخوافي ت ٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، ذيل جامع التواريخ رشيدي، با اهتمام: دكتر خانبابا بياني، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملى، چاپ دوم، تهران سنة ١٣٨٠ هـ . ش/٢٠٠١م.
٤. حسن بيك روملو، أحسن التواريخ، به اهتمام: عبد الحسين نوائي، ترجمه ونشر كتاب، تهران سنة ١٣٤٩هـ.ش.
٥. حسين عماد زاده اصفهانى، تاريخ مفصل اسلام، انتشارات اسلام، تهران، چاپ هفتم، سنه ١٣٧٠هـ . ش/ ١٩٩١م.
٦. خواندمير (غياث الدين بن همام الدين الحسيني ت ٩٤٠هـ/١٥٣٤م): حبيب السير في أخبار البشر، زير نظر : محمد دبير سياقي، مقدمه نويس: جلال الدين همايي، انتشارات كتابخانهٔ خيام، چاپ چهارم، تهران سنة ١٣٨٠هـ. ش/٢٠٠١م.
٧. سمرقندي (دولتشاه بن علاء الدين بن بختيشاه السمرقندي ت ٨٩٦هـ/١٤٩١م) ، تذكرة الشعراء، به اهتمام: ادوارد براون، ناشر: اساطير، تهران، سنة ١٣٨٢هـ.ش/٢٠٠٣م.
٨. كتبي (محمود) ، تاريخ آل مظفر، به اهتمام: عبد الحسين نوائى، موسسه انتشارات امير كبير، چاپ دوم، تهران، سنة ١٣٦٤هـ.ش/١٩٨٥م.
٩. مجهول، عالم آراي صفوي، به كوشش يد الله شكري، انتشارات بنياد فرهنگ ايران، تهران،١٣٥٠هـ ش.
١٠. مستوفي قزويني (حمد الله بن تاج الدين أبي بكر بن حمد بن نصر ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، تاريخ گزيده، طبع عبد الحسن نوائي، تهران، سنة ١٣٣٩ هـ ش.
١١. مستوفي قزويني (حمد الله بن تاج الدين أبي بكر بن حمد بن نصر ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، نزهة القلوب "المقالة الثالثة در صفت بلدان وولايات وبقاع"، بسعى واهتمام وتصحيح: گاي ليسترانج، ناشر: دنياى كتاب، تهران، سنة ١٣٦٢هـ. ش/ ١٩٨٣م.
١٢. منشي (اسكندر بيك تركمان ت١٠٤٣هـ)، تاريخ عالم آراي عباسي، تحقيق: ايرج افشار، ناشر: امير كبير، تهران، سنة ١٣٨٢هـ.ش.
١٣. ميرخواند (برهان الدين محمد بن خاوند شاه بن محمد ت ٩٠٣هـ/١٤٩٨م)، تاريخ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا، تصحيح: جمشيد كيان فر، ناشر: اساطير، تهران سنة ١٣٨٠هـ. ش/٢٠٠١م.

١٤.نصر الله فلسفي ، زندگاني شاه عباس اول، چاپ پنـــچم، انتشارات دانـــگشاهٔ تهران، ١٣٥٣هـــ . ش.

١٥.والتر هينتس، تشكيل دولت ملى در ايران، حكومت آق قوينلو وظهور دولت صفوى، ترجمة: كيكاوس جها نداری، انتشارات خوارزمی، چـــاپ سوم، تهران، سنة ١٣٦٢هـــ .ش/ ١٩٨٣م.

رابعا ــ المراجع الإنجليزية:

١- E.van Donzel, B.lewis and CH.pellat, Iran, The Encyclopaedia Of Islam, New Edition, Leiden,١٩٩٧,vol:IV, P٢،٣.

٢- Lieut.-Col. , p.M. Sykes, A History of Persia, London ١٩١٥.

٣- Kenneth M. Pollack. Persian Puzzle: The conflict between Iran and America. Randam House, Inc, ٢٠٠٥.

٤- Frye, Richard Nelson, Greater Iran. Xi. P ISBN ١-٥٦٨٥٩-١٧٧-٢.

٥- Ahmad Ashraf. Iranian Identity. ii. Pre-Islamic Period. ٢٠١١.

٦- W.W Malandra. Encyclopaedia Iranica: Zoroaster ii. General Survey.